نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٥٧٩ — تشبيهها في ذنبها وقرونها

قال القاضي أحمد بن خلكان : كان أبو البقاء يعيش ابن علي بن يعيش حسن التفهيم ، طويل الروح على المبتدئ والمنتهي . وقد حضرت يوماً حلقته وبعض الفقهاء يقرأ عليه (اللمع) لابن جني فقرأ بيت ذي الرمة بباب النداء

أيا ظبية الوعساء بين جلاجل
وبين النقا آ أنت أم أم سالم ؟[1]

فقال الشيخ موفق الدين : إن هذا الشاعر لعظم وجده بهذه المحبوبة وكثرة مشابهتها للغزال — كما جرت عادة الشعراء في تشبيههم النساء الصباح الوجوه بالغزلان والمها — اشتبه عليه الحال فلم يدر هل هي امرأة أم ظبية ، فقال : آ أنت أم أم سالم وأطال الشيخ القول في ذلك بحيث يفهمه البليد البعيد الذهن وذلك الفقيه منصت حتى يتوهم من يراه على تلك الصورة أنه قد تعقل جميع ما قاله الشيخ ، فلما فرغ من قوله قال له الفقيه : يا مولانا ، إيش في هذه المرأة الحسناء يشبه الظبية ؟ فقال له الشيخ موفق الدين قول متبسط : تشبهها في ذنبها وقرونها فضحك الحاضرون ، وخجل الفقيه وما عدت رأيته حضر مجلسه

٥٨٠ — فسكت وسكتنا

في (الأغاني) : أقبل عيينة بن حصن إلى محلة بني زبيد في « الكوفة » فسأل عن محلة عمرو بن معد يكرب ؛ فأرشد إليها ، فوقف ببابه ونادى : أي أبا ثور ، أخرج إلينا ، فخرج إليه ، وقال : انزل ، فإن عندي كبشاً ، فنزل فعمد إلى الكبش فذبحه ، ثم ألقاه في قدر وطبخه حتى إذا أدرك جاء بجفنة عظيمة فثرد فيها ، وأكفأ القدر عليها فقعدا فأكلا . ثم قال له : أي الشراب أحب إليك اللبن أم ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية ؟ قال : أوليس قد حرمها الله علينا في الإسلام ؟ قال : أنت أكبر سناً أم أنا ؟ قال : أنت . قال : فأنت أقدم إسلاماً أم أنا ؟ قال أنت . قال : فإني قد قرأت ما بين دفتي المصحف فوالله ما وجدت لها تحريماً إلا أنه قال : « فهل أنتم منتهون » فقلنا : لا فسكت وسكتنا ، فقال له : أنت أكبر سناً وأقدم إسلاماً فجاءا فجلسا يتناشدان ويشربان ويذكران أيام الجاهلية حتى أمسيا ، ثم انصرف عيينة وهو يقول :

جزيت أبا ثور جزاء كرامة فنعم الفتى المزدار والمتضيف
قريت فأكرمت القرى وأفدتنا تحيـــة علم لم تكن قط تعرف
وقلت : حـــلال أن تدر مدامة كلون انمقاق البرق والليل مسدف
وقدمت فيهـــا حجة عربية ترد إلى الإنصاف من ليس ينصف
وأنت لنا (والله ذي العرش) قدوة إذا صدنا عن شربهـــا المتكلف

يقول أبو ثور : أحل حرامها وقول أبي ثور أسد وأعرف

٥٨١ — ضعف الإسناد . . .

في (خاص الخاص) للثعالبي : كان أبو محمد السرجي من ظرفاء الفقهاء والمحدثين ببغداد ، فركب يوماً في سفينة مع نصراني ، فلما بسط سفرته ، سأل السرجي مساعدته ففعل ، ولما فرغا أحضر شرابه فحكى لونه عينَ الديك وريحُه فأرة[1] المسك ، وأراد السرجي أن يجد رخصة فقال : ما هذه ؟ وتوهم النصراني مراده ، فقال : خمر ، اشتراها غلامي من يهودي

فقال : نحن أصحاب الحديث نكذّب سفيان بن عُيَيْنة ويزيد بن هرون أفنصدّق نصرانياً عن غلامه عن يهودي ؟ والله ما أشربها إلا لضعف الإسناد . ومدّ يده إلى الكأس وشربها

(١) الوعساء : رملة لينة . جلاجل (بفتح الجيم وضمها) مكان ، قال الشنتمري : ويروى بالحاء . النقا : الكثيب من الرمل . والقول من أبيات (الكتاب) والشاهد فيه إدخال الألف بين الهمزتين من قوله (أأنت) كراهية لاجتماعهما كما أدخلت بين النونات في قولهم : اضربنان كراهية لاجتماعها .

(١) فأرة المسك : نافجته ، وعاؤه . في (الأساس) : شممت يده فكأنها يد عطارة ذبحت فأرة